الكرسيّ

٧/ ٤/ ١٤٣٦هـ

هذه الآلةُ التي اخترعها الإنسانُ قديمًا ارتبط اسمُها -في العصور المتأخرة- بالمنصب العالي غالبًا، وما مِنْ شخصٍ يَصِل إلى كرسيٍّ إلا بعد ذهابِ مَنْ قبله، فتلك سنةُ الله في هذه المناصب!

والمفارقة العجيبة في هذا الكرسي -ومع معرفة الجميع بسنة الله فيه- أن الأكثر تُصيبه السَّكرة إذا علاه، ويَظن أنه كالجبل الراسي الذي لا تُحركه رياحُ التغيير! فهل لهذا الاشتراك القويّ بين أحرف (الكرسي) و(السَّكرة) أَثَر؟ ربما يجمعها أنّ مَن ذاق لذّته أدْمَن عليه، كما قال ابن القيم -في حقّ عُبّاد الكراسي-: «فإن الرياسة سَكْرَةٌ كسكرة الخمر أو أشدّ، ولو لم يكن للرياسة سَكرة لما اختارها صاحبُها على الآخرة الدائمة الباقية»[1].

وللكرسي في نصوص الوحيين حضورٌ واضح، يجمعها: التحذيرُ من الاستشراف لها، والتطلّع للجلوس عليها، وأنه من تطلّع لها وُكِّل إليها،

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٣٢).

ومن بلغها دون تطلّع أُعِين عليهـــا، وأنها لا تَصلح إلا لمن جمع شرطَي: القوة والأمانة، وما سوى ذلك «**فنِعم المرضعة، وبئست الفاطمة**»[1].

متى ما شـــعر صاحبُ (الكرسي) الذي رشّـــحه مَن فوقه أنه موظفٌ يخدم المســـلمين بمجرد جلوســـه، لا أنه فرصةٌ للتكسّب، أو التعالي على الخلق، والاحتجـــابِ دون حوائجهم، وأنه لم يجلس عليه إلا بعد ذهاب مَن قبله؛ متى شـــعر بذلك، هان عليه الأمر، بل وجد لذّةً في أداء ما أُنيط به، وراحةً عندما يقال له: انزل عنه ليَحُل بدلك.

ومتى ما تحوّل (الكرسيُّ) إلى مصالح خاصة، وغفلةٍ عن كونه وكيلًا عن الأمة عندما جلس على هذا (الكرسي)؛ فهذا عنوان الشقاء والبؤس المعجّل، وأوّل أوان حسراته يومَ نَزْعِـــه منه، وما يعقبُ ذلك من امتلاء قلبه حزنًا عـــلى ما فاته، فضلًا عـــلى ما ينتظره عند الله من حســـاب إذا اجتمعت الخصومُ عند من لا تَضيع عنده مثاقيلُ الذرّ!

ومِن مظاهر الأســـى المعجّـــل لأصحاب الكـــراسي المعزولين بغير رضاهم: فرحُ الناس بســـقوطهم من تلك الكراسي، وهي -لعمر الله- فضيحـــةٌ دنيويةٌ، فكيف بيوم العرْض الأكـــبر إذا تعلّق به آلاف الناس، وربما ملايين، يطلبون من الله حقهم منه؟!

ألا وإنّ مِن أشـــدّ ما يُبتلَى به بعضُ عُبّادِ الكرسي: أن يلبّســـوا بغيَهم وظلمَهـــم وعدوانَهم لبوسَ الدِّيـــن، ولو أنّه كان مـــن دون ذلك لكان عظيمًا، فكيف والأمر كذلك؟! فيا ويل هذا النوع من العبيد حين توضعُ

(١) رواه البخاري (رقم٧١٤٨).

الموازين، وتُنشرُ الكتب التي لا تغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصتها، يومَ: ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[الروم: ٥٧].

ويبلغُ الكرسيُّ أسـوأ آفاته حين يتخلى الإنسانُ -بسببه- عن مبادئه، ويَقبل بأنصافِ الحلول وأرباعها، ويقـدّم التنازلات تلو التنازلات مِن أجل الوصول إلى هذا الكرسي!

لقد أدركتُ في حياتي وُزراء أُعْفوا من مناصبهم، فأما أحدُهم فتقاطر الناسُ على بيته عَصْرَ ذلك اليوم مهنّئين له بحسن السيرة، وقوّته وأمانته، وممن حضَر وزراءُ البلد وعلماؤه وأعيانه ووجهاؤه، بل إن الموظّف الذي كان يقدّم له القهوة والشـاي في مكتبه كان مـن أوائل مَن حضر ليقدّم القهوة والشـاي لضيوف صاحب المعالي الذي كان على كرسـيّه أمسِ، وآخـرون لم ينتهِ المذيعُ مِن خـبر إقالتهم من مناصبهـم إلا ومَنْ حولي يسـجدون شـكرًا لله على ذلك! يا لها من مفارقة! ونعوذ بالله أن نكون شامتين، ولكن العاقل من اعتبر، واستفاد مما يجريه الله مِن العِبَر.